السُّنَّةُ وَأَهْلُ الْبَيْتِ

١ - فى فضل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : توفى لصفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها ابن، فبكت، عليه، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تبكين يا عمة من توفى له ولد فى الإسلام كان له بيت فى الجنة يسكنه» فلما خرجت لقيها رجل، فقال لها : إن قرابة محمد لن تغنى عنك من الله شيئًا، فبكت فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتها، ففزع من ذلك فخرج، وكان صلى الله عليه وسلم مكرمًا لها يبرّها ويحبها، فقال لها : يا عمة، تبكين وقد قلت لك ما قلت؟ قالت : ليس ذلك أبكانى وأخبرته بما قال الرجل، فغضب صلى الله عليه وسلم، وقال : «ما بال أقوام يزعمون أن قرابتى لا تنفع إن كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى وإن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة».

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «فتزوجت أم كلثوم لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ، وأحببت أن يكون بينى وبينه نسب وسبب[1].

(١) لما خطب عمر بن الخطاب لنفسه أم كلثوم بنت فاطمة من أبيها علىّ =

ومن مزيد فضلهم أن الله قد وكل بعض الملائكة بمعونتهم - وكما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أن أبا ذر كان ينادى عليًّا، فرأى رحا تطحن فى بيته، وليس معها أحد فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: «يا أبا ذر أما علمت أن لله ملائكة سياحين فى الأرض قد وكلوا بمعونة آل محمد صلى الله عليه وسلم».

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال:

كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم خادم تخدمهم يقال لها بريرة، فلقيها رجل، فقال لها: يا بريرة غطى شفيعاتك[1]، فإن محمدًا صلى الله عليه وسلم، لن يغنى عنك من الله شيئًا، قالت: فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم، فخرج يجر رداءه، وكنا معشر الأنصار نعرف غضبه بجر ردائه وحمرة وجنتيه، فأخذنا السلاح ثم أتيناه فقلنا: يا رسول الله، مرنا بما شئت، والذى بعثك بالحق نبيًّا لو أمرتنا بآبائنا وأمهاتنا وأولادنا لمضينا لقولك فيهم، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

= ابن أبى طالب فاعتل سيدنا علىّ بصغرها وبأنه حابسها لولد اخيه جعفر فألح عليه عمر ثم صعد للنبر، فقال: أيها الناس، والله ما حملنى على الإلحاح على علىّ فى ابنته إلا أنى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة، إلا سببى ونسبى وصهرى.

(١) الشفعة: النؤابة.

«من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله.

قال: نعم، ولكن من أنا؟

قلنا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلى الله عليه وسلم.

قال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من ينفض التراب عن رأسه ولا فخر، وأول داخل الجنة ولا فخر، وصاحب لواء الحمد ولا فخر، وفى ظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله ولا فخر، ما بال أقوام يزعمون أن رحمى لا ينفع، بل تنفع حتى تبلغ حكم وحاه[٢] إنى لأشفع فأشفع حتى أن من أشفع له ليشفع فيشفع حتى أن إبليس ليتطاول طمعًا فى الشفاعة»[٣].

وصية الرسول صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته:

روى جابر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بعرفات وعلىّ تجاهه: «ادن منى يا علىّ، خلقت أنا وأنت من شجرة أنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة».

وعن أبى بكر الصديق أنه صلى الله عليه وسلم قال: «يأيها الناس

(٢) هم إحدى قبيلتين من اليمن - وقيل هما حيان من اليمن من وراء رمل يبرين.

(٣) أخرجه ابن البحترى.

ارقبوا محمدا فى أهل بيته» أى احفظونى فيهم فلا تؤذوهم.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم خيركم لأهلى من بعدى».

وأخرج ابن سعد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «استوصوا بأهل بيتى خيرًا فإنى أخاصمكم عنهم غدًا، ومن أكن خصيمه أخصمه الله ومن أخصمه الله أدخله النار».

أهل البيت مكان الرأس من الجسد:

إن الواجب على المسلمين أن يجعلوا أهل بيت نبيهم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس، فيتمسكوا بأهدافهم ويأخذوا بأفعالهم، وأقوالهم، ولو أنهم حققوا ذلك لكانوا سادات الأمم وهداة الشعوب، ولكنهم ناصبوهم العداء، وأخروهم عن مراتبهم وأزالوهم عن مكانتهم، فأصيبت الأمة بالنكسات وحفت بها الخطوب والأخطار.

وعن أبى ذر: «اجعلوا أهل بيتى منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس ولا تهتدى الرأس إلّا بالعينين».

وصح أن بنت أبى لهب لما هاجرت إلى المدينة، قيل لها: لن تغنى عنك هجرتك أنت بنت حطب النار - فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فاشتدّ غضبه، ثم قال: «ما بال أقوام يؤذونى

فى بيتى وذوى رحمى ألا من آذى نسبى وذوى رحمى، فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله».

أساس الإسلام حب أهل البيت:

مما لا شك فيه أن المسلمين مسئولون أمام الله عن مودة أهل البيت وعن حبهم ومن أظهر ألوان الحب الأخذ بأقوالهم والاقتداء بهم فى جميع المجالات.

أخرج البخارى فى تاريخه عن الحسن بن علىّ عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل شىء أساس وأساس الإسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أهل بيته».

وأخرج الديلمى عن علىّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أثبتكم على الصراط أشدّكم حبًّا لأهل بيتى وأصحابى».

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه وعن محبته أهل البيت».

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أدبوا أولادكم على

ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته، وعلى قراءة القرآن، فإن حملة القرآن فى ظل من أنبيائه وأصفيائه».

وأخرج الديلمى عن علىّ عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة، المكرم لذريتى والقاضى لهم الحوائج والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه».

الاقتداء بأهل البيت:

قال صلى الله عليه وسلم: «من سرّه أن يحيا حياتى، ويموت مماتى، ويسكن جنة عدن غرسها ربى، فليوال علياً من بعدى، وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتى من بعدى فإنهم عترتى خلقوا من طينتى ورزقوا فهمى وعلمى، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتى، القاطعين فيهم صلتى، لا أنالهم الله شفاعتى».

أهل البيت لا يقاس أحد بهم:

عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد».

الحث على حب أهل البيت والزجر عن بغضهم:

أشاد القرآن الكريم بفضل أهل البيت، كما احتفى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرنهم بمحكم الكتاب، ونطق كتاب الله

العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بفضل أهل البيت وسموّ مكانهم عند الله فواجب كل مسلم التفانى فى حب أهل البيت.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا بنى عبد المطلب إنى سألت الله لكم ثلاثًا: أن يثبت قائمكم، وأن يهدى ضالتكم، وأن يعلم جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء فلو أن رجلا صف بين الركن والمقام فصلى وصام، ثم لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار».

وبسنده عن أبى عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبونى لحب الله، وأحبوا أهل بيتى لحبى».

وبسنده عن أبى سعيد الخدرى، وصححه على شرط مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أدخله الله النار، وفى رواية: إلاّ أكبّه الله فى النار».

وعنه أيضًا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى».

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: «لا يحبنا أهل البيت إلاّ مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلاّ منافق شقي».

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أبغض أهل البيت فهو منافق».

وعن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم ارزق من أبغضني وأهل بيتي كثرة المال والعيال[1]».

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لا تفارق روح جسد صاحبها حتى يأكل من ثمر الجنة أو من شجر الزقوم، وحتى يرى ملك الموت ويراني ويرى عليًّا وفاطمة والحسن والحسين، فإن كان يحبنا قلت: يا ملك الموت ارفق به فإنه كان يحبني وأهل بيتي، وإن كان يبغضني ويبغض أهل بيتي قلت: يا ملك الموت شدّد عليه فإنه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي، لا يحبنا إلاّ مؤمن، ولا يبغضنا إلا منافق شقي».

وأخرج الطبراني عن الحسن بن عليّ عليهما السلام أنه قال لمعاوية ابن خديج: يامعاوية بن خديج: إياك وبغضنا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يبغضنا أحد، ولا يحسدنا أحد

---

(١) قال ابن حجر: كفاهم أن يكثر مالهم فيطول حسابهم، وأن تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم.

إلاّ زيل يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار».

وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول: لو كان لى مدخل فى العصية مع قتلة الحسين بن علىّ وخيرت بين الجنة والنار لاخترت دخول النار حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقع بصره علىّ فى الجنة.

ولما ضرب جعفر بن سليمان مالكًا رضى الله عنه، غشى على مالك فدخل عليه الناس، فلما أفاق قال لهم: أشهدكم أنى قد جعلت ضاربى فى حل، فقيل: لم؟ فقال: خفت أن أموت فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستحى أن يدخل أحد من آله النار بسببى، فلما تولى المنصور طلب أن يقتص له منه، فقال الإمام مالك رضى الله عنه: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منها سوط عن جسمى إلاّ وقد جعلته فى حل منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولأبى حسن بن جبير، حمد الله:

وحب النبى المصطفى وابن عمه ... علىٍّ وسبطيه وفاطمة الزهرا
هُمُ أهل بيت أذهب الرجس عنهم ... وأطلعهم أفق الهدى أنجمًا زهرا
موالاتهم فرض على كل مسلم ... وحبهم أسنى الذخائر فى الأخرى
وما أنا للصحب الكرام بمبغض ... فإنى أرى البغضاء فى حقهم كفرا

هم جاهدوا فى الله حق جهاده وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عليهم سلام الله ما دام ذكرهم لدى الملأ الأعلى وأكرم به ذكرا

الرسول أول من يشفع لآل البيت يوم القيامة :

عن ابن عمر، رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] : « أول من أشفع له يوم القيامة من أمتى، أهل بيتى، ثم الأقرب فالأقرب، ثم الأنصار، ثم من آمن بى واتبعنى من أهل اليمين ثم سائر العرب، ثم الأعاجم ».

وفى خبر عنه صلى الله عليه وسلم : « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتى، والقاضى لهم حوائجهم، والساعى لهم فى أمورهم، عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه ».

وأخرج الخطيب فى تاريخه عن علىّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شفاعتى لأمتى من أحب أهل بيتى ».

وأخرج الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول

---

(١) ولا يتنافى بين هذا وبين ما رواه البزار والطبرانى وغيرهما « أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة، ثم أهل مكة، ثم أهل الطائف، فإن هذا ترتيب من حيث البلدان، وذاك من حيث القبائل، فيحتمل أن المراد البداءة فى قريش بأهل المدينة، ثم مكة، ثم الطائف، وكذا فى الأنصار من بعدهم.

الله صلى الله عليه وسلم : «أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى».

أهل البيت مثل سفينة نوح :

حديث السفينة وباب حطة، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تأخر عنها هلك، أو من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق، أو من دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك.

وقال ابن حجر فى الصواعق : جاء من طرق عديدة يقوى بعضها بعضًا : إنما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا. وفى رواية مسلم : ومن تخلف عنها غرق. وفى رواية : هلك. وإنما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطة فى بنى إسرائيل من دخله غفر له. وفى رواية : غفر له الذنوب.

وروى الحاكم فى المستدرك بسنده عن حنش الكنانى : سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ باب الكعبة : من عرفنى فأنا من عرفتم، ومن أنكرنى فأنا أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

وتمثيلهم بسفينة نوح صريح فى وجوب اتباعهم والاقتداء بأقوالهم

وأفعالهم، وحرمة اتباع من خالفهم، وأى عبارة أبلغ فى الدلالة على ذلك من قوله : من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك أو غرق، فكما أن كل من ركب مع نوح فى سفينته نجا من الغرق، ومن لم يركب غرق وهلك، فكذلك كل من اتبع أهل البيت أصاب الحق ونجا من سخط الله وفاز برضوانه، ومن خالفهم هلك ووقع فى سخط الله وعذابه، وذلك دليل عصمتهم وإلاّ لما كان كل متبع لهم ناجيا وكل مخالف لهم هالكا، وهذا عام مخصوص كما سيجىء فى حديث الثقلين. وليس المراد به إلاّ أئمة أهل البيت الذين وقع الاتفاق على تفضيلهم، واشتهروا بالعلم والفضل والزهد والورع والعبادة، واتفقت الأمة على عدم عصمة غيرهم، وغير المعصوم لا يكون متبعه ناجيًا، ومخالفه هالكًا على كل حال، ولا يقصر عنه فى الدلالة خبر تسميتهم بباب حطة الدال على أن النجاة فى اتباعهم والخلاص من الذنوب والمعاصى بالأخذ بطريقتهم.

وفى بيان هذا الحديث أيضًا يقول الإمام شرف الدين : «وأنت تعلم أن المراد من تشبيههم عليهم السلام بسفينة نوح، أن من لجأ إليهم فى الدين فأخذ فروعه وأصوله عن أئمتهم الميامين نجا من عذاب النار، ومن تخلف عنهم كان كمن آوى يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله غير أن ذاك غرق فى الماء وهذا فى الحميم والعياذ بالله.

والوجه فى تشبيههم عليهم السلام بباب حطة، هو أن الله

تعالى جعل ذلك الباب مظهرًا من مظاهر التواضع لجلاله والخنوع لحكمه، وبهذا كان سببًا للمغفرة.

وهذا وجه الشبه، وقد حاول ابن حجر إذ قال بعد أن أورد هذه الأحاديث وغيرها من أمثالها.

«ووجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكرًا لنعمة مشرفهم، وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق فى بحر كفر النعم وهلك فى مفاوز الطغيان» إلى أن قال: «وبباب حطة - يعنى ووجه تشبيههم بباب حطة - أن الله جعل دخول ذلك الباب الذى هو باب أريحا أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سببًا للمغفرة، وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سببًا لها».

وجوب محبة أهل البيت وإكرامهم وتوقيرهم والتمسك بهم:

حب آل البيت فرض على كل مؤمن؛ لأنهم شجرة النبوّة، ومحطة الرسالة، ومنبع الرحمة، ومعدن العلم، وهم ينابيع الحكمة، فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، ناصرهم ومحبهم ينتظر رحمة الله ونفحاته، وعدوهم ومبغضهم يستقبل نقمة الله وسطواته، بهم هدايتنا من الظلماء، وهم موضع سر المصطفى صلى الله عليه وسلم، وملجأ أمره ومؤمل كلمه، فهم أساس الدين، وعماد اليقين.

وإكرام أهل البيت واجب تعظيماً للرسول عليه الصلاة والسلام، وعن أنس قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم فى المسجد إذ أقبل علىّ فسلم، ثم وقف، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فى وجوه الصحابة أيهم يفسح له، وكان أبو بكر رضى الله عنه عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزحزح عن مجلسه قال: ها هنا يا أبا الحسن، فجلس بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أبى بكر، فعرف البشر فى وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: «يا أبا بكر، إنما يعرف الفضل من الناس ذوو الفضل».

وفى المناقب عن هشام بن حسان، قال: خطب الحسن بن علىّ رضى الله عنه بعد بيعة الناس له بالأمر فقال: «نحن حزب الله الغالبون، ونحن عترة رسوله الأقربون، ونحن أهل بيته الطيبون، ونحن أحد الثقلين اللذين خلفهما جدى صلى الله عليه وسلم فى أمته، ونحن ثانى كتاب الله، فيه تفصيل كل شىء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فالمعول علينا فى تفسيره، ولا تظنى تأويله، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة إذا كانت بطاعة الله عز وجل، وطاعة رسوله مقرونة، قال جل شأنه: ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾.

وعنه أيضا قال: «نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالى المسلمين. ونحن أمان

لاهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، بنا ينزل الغيث، وتنشر الرحمة وتخرج بركات الأرض، ولولا ما على الأرض منا لانساخت بأهلها».

ومن خطبة للإمام علىّ كرم الله وجهه يذكر فيها أهل البيت:

«هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام، وولائج الاعتصام بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير ووعاته قليل».

ومن خطبه رضى الله عنه:

«فأين تذهبون وأنى تؤفكون، والأعلام قائمة، والآيات واضحة والمنابر منصوبة، فأين يتاه بكم وكيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم وهم ألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن.

أيها الناس، خذوها عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم أنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلى منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون، فإن أكثر الحق فيما تنكرون واعذروا من لا حجة له عليكم».

ويقول رضى الله عنه :

« انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فإنهم يخرجون بكم إلى هدى، ولن يعيدوكم فى ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا ولا تستبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا ».

وخطب رضى الله عنه بالمدينة بعد بيعة الناس فقال :

« ألا إن أبرار عترتى وأطايب أرومتى أحلم الناس صغارًا وأعلمهم كبارًا، ألا وإنّا أهل بيت من علْم الله علّمنا وبحكم الله حكمنا، ومن قول الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرهم، وإن لم تفعلوا يهلككم الله، ومعنا راية الحق من تبعها لحق، ومن تأخر عنها محق، ألا وإن بنا يدرك كل مؤمن ثواب عمله، وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم، وبنا فتح الله تعالى وبنا يختم ».

ويقول الإمام الشافعى فى حب أهل البيت :

يا آل بيت رسول الله حبكمو فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكمو من عظيم الفخر أنكمو من لم يصل عليكم لا صلاة له

ولبعضهم :

هم العروة الوثقى لمعتصم بها مناقبهم جاءت بوحى وإنزال
مناقب فى الشورى وفى هل أتى أتت وفى سورة الأحزاب يعرفها التالى

وهم آل بيت المصطفى فرضاهُم على الناس مفروض بحكم وأسجال

ويقول البوصيرى :

وهل حبكم للناس إلاّ عقيدة على أسها فى الله تبنى القواعد
وإن اعتقادًا خاليا من محبة وردكمُ آل النبى لفاسد

ومن قصيدة للصاحب بن عباد :

حب النبى وأهل البيت معتمدى إذا الخطوب أساءت رأيها فينا
يارب سهِّل زيارتى مشاهدهم فإن روحى تهوى ذلك الطينا
يارب صيِّر حياتى فى محبتهم ومحشرى معهم آمين آمينا

ويقول الفرزدق فى قصيدته التى مدح بها زين العابدين علىّ بن الحسين رضى الله عنهما :

من معشر حبهم دين، وبغضهمو كفر، وقربهمو منجى ومعتصم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهمو فى كل بدء ومختوم به الكلم
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم أوقيل : من خير أهل الأرض قيل هم
يستدفع الشر والبلوى بحبهمو ويسترب به الإحسان والنعم

ويقول الشيخ أحمد الحلوانى الكبير :

هم الدين والدنيا لعمرى همو همو فقل فيهم ماشئت لاتبرهن نكرا
بدور سمت عن شمس أكرم مرسل أنارو دياجى الكون بالطلعة الغرا
وبالبر والتقوى وبالحلم والندى وبالعلم والفتوى وبالذكر والذكرى

ويقول دعبل الخزاعى :

ملامك فى أهل النبى فإنهم أحباى ما عاشوا وأهل ثقاق
تخيرتهم رشدًا لأمرى فإنهم على كل حال خيرة الخيرات
فيارب زدنى من يقينى بصيرة وزد حبهم يارب فى حسناتى

ويقول الشاعر فى مدح أهل البيت :

لآل البيت عز لا يزول وفضل لا تحيط به العقول
وإجلال ومجد قد تسامى وقدر ما لغايته وصول
وفى التنزيل بالتطهير خصوا ومدحتهم بها شهد الرسول
لهم عزم وسلطنة وجاه ودام لهم من الله القبول
سيوف فى الأعادى فاتكات وسطوتهم لها رعب مهول
بدور الدين بهم قد تجلت تكاد الشمس من خجل تزول
زكوا أصلا بنسبتهم ولكن يطيب الفرع ما طابت أصول
وكيف القول فى قوم أبوهم له جبريل فى الدنيا رسول
معاذ الله أن أخشى نكالا ولى فى حبهم باع طويل

حديث الثقلين[1] :

وعن زيد بن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا تارك

---

(١) أحاديث الثقلين التى رواها اجلاء علماء أهل السنة وأكابر محدثيهم فى صحاحهم بأسانيدهم المتعددة، واتفق على روايتها الفريقان، فرواها مسلم والترمذى فى صحيحيهما، والإمام أحمد بن حنبل فى مسنده، والثعلبى فى تفسيره، وابن المغازى الشافعى فى المناقب، =

فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال : وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى »، وسئل زيد : من أهل بيته ؟ قال : هم من حرم الصدقة بعده، هم آل علىّ، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس.

وفى رواية لمسلم : فقلنا : من أهل بيته نساؤه؟ قال : لا؛ لأن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده، وسبق أن بينّا ذلك.

وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أنى تارك فيكم الثقلين، وفى رواية خليفتين : أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

= وصاحب الجمع بين الصحاح الستة، والحميدية من أفراد مسلم، والسمعانى فى فضائل الصحابة، وموفق بن أحمد، والطبرانى، وابن حجر فى صواعقه وغيرهم، ورويت من طريق أهل البيت باثنين وثمانين طريقًا، والعقد الفريد لابن عبد ربه القرطبى، وذخائر العقبى لأحمد بن عبد الله الطبرى، وتفسير الخازن فى تفسير آية الاعتصام، وتفسير ابن كثير فى آية المودة، وفى تفسير آية التطهير، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، وفى الحلية لأبى نعيم الأصفهانى، وأسد الغابة لابن الأثير، والدر النثر للسيوطى، ولسان العرب لجمال الدين الأفريق.

وفى رواية : وإن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفون فيهما.

وفى رواية أخرى : إنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى : الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

وفى رواية أخرى : إنى تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن تبعتموهما، وهما كتاب الله، وعترتى أهل بيتى فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلى منكم، وقد يكون هذا صريحًا فى خروج النساء من أهل البيت واختصاصهم بعشيرته وعصبه وهو رأينا الذى انتهينا إليه فى ختام هذا البحث، والله أعلم.

وحديث الثقلين من أوثق الأحاديث النبوية، وأكثرها ذيوعًا، وقد اهتم العلماء به اهتمامًا بالغًا لأنه يحمل جانبًا مهمًّا من جوانب العقيدة الإسلامية، كما أنه من أظهر الأدلة التى تستند إليها الشيعة فى حصر الإمامية فى أهل البيت وفى عصمتهم من الأخطاء والأهواء، أن النبى صلى الله عيه وسلم قرنهم بكتاب الله العزيز، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يفترق أحدهما عن الآخر، ومن الطبيعى أن صدور آية مخالفة لأحكام

الدين، تعتبر افتراقًا عن الكتاب العزيز، وقد صرح النبى صلى الله عليه وسلم بعدم افتراقهما حتى يردا على الحوض، فدلالته على العصمة ظاهرة جلية، وقد كرر النبى صلى الله عليه وسلم هذا الحديث فى مواقف كثيرة، لأنه يهدف إلى صيانة الأمة والمحافظة على استقامتها، وعدم انحرافها فى المجالات العقائدية وغيرها، إن تمسكت بأهل البيت ولم تتقدم عليهم، ولم تتأخر عنهم.

ولو كان الخطأ يقع منهم، لما صح الأمر بالتمسك بهم الذى هو عبارة عن جعل أقوالهم وأفعالهم حجة، وفى أن المتمسك بهم لا يضل كما لا يضل المتمسك بالقرآن، ولو وقع منهم الذنب أو الخطأ لكان المتمسك بهم يضل، وأن فى اتباعهم الهدى والنور كما فى القرآن، ولو لم يكونوا معصومين لكان فى اتباعهم الضلال، وفى أنهم حبل ممدود من السماء إلى الأرض كالقرآن، وهو كناية عن أنهم واسطة بين الله تعالى وبين خلقه، وأن أقوالهم عن الله تعالى، ولو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك، وفى أنهم لن يفارقوا القرآن، ولن يفارقهم مدة عمر الدنيا ولو أخطئوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن وفارقهم، وفى عدم جواز مفارقتهم بأن يتقدم عليهم بجعل نفسه إمامًا لهم، أو يقصر عنهم، ويأتم بغيرهم كما لا يجوز التقدم على القرآن بالإفتاء بغير ما فيه، أو التقصير عنه باتباع أقوال مخالفيه، وفى عدم جواز تعليمهم، ورد أقوالهم، ولو كانوا يجهلون شيئًا لوجب تعليمهم ولم ينه عن ردّ قولهم.

وقد دلّت هذه الأحاديث أيضًا على أن منهم من هذه صفته فى كل عصر وزمان، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، وأن اللطيف الخبير أخبره بذلك، وورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا، فلو خلا زمان من أحدهما لم يصدق أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

ويتخذ أنصارهم أن أهل البيت هم الأئمة الإثنا عشر وأمهم الزهراء هذا الحديث ليرجحوا رأيهم قائلين: إنه لا يمكن أن يراد بأهل البيت جميع بنى هاشم، بل هو من العام المخصوص بمن ثبت اختصاصهم بالفضل، والعلم، والزهد، والعفة، والنزاهة، من أئمة أهل البيت الطاهر وهم الأئمة الإثنا عشر، وأمهم الزهراء البتول.

يدللون على ذلك بالإجماع على عدم عصمة من عداهم، والوجدان أيضًا على خلاف ذلك لأن من عداهم من بنى هاشم، تصدر منهم الذنوب، ويجهلون كثيرًا من الأحكام، ولا يمتازون عن غيرهم من الخلق فلا يمكن أن يكونوا هم المجعولين شركاء القرآن فى الأمور المذكورة بل يتعين أن يكونوا لا كلهم وليس إلّا من ذكرنا.